

البداية والنهاية

الشيخ عبد القادر الجيلي .

ابن أبي صالح أبو محمد الجيلي ولد سنة سبعين وأربعمائة ودخل بغداد فسمع الحديث وتفقه على أبي سعيد المخرمي الحنبلي وقد كان بنى مدرسة ففوضها إلى الشيخ عبد القادر فكان يتكلم على الناس بها ويعظمهم وانتفع به الناس انتفاعا كثيرا وكان له سمت حسن وصمت غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان فيه تزهّد كثير وله أحوال صالحة ومكاشفات ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات ويذكرون عنه اقوالا وأفعالا ومكاشفات أكثرها مغالاة وقد كان صالحا ورعا وقد صنف كتاب الغنية وفتوح الغيب وفيهما أشياء حسنة وذكر فيهما أحاديث ضعيفة وموضوعة وبالجملّة كان من سادات المشايخ [توفي] وله تسعون سنة ودفن بالمدرسة التي كانت له . ثم دخلت سنة ثنتين وستين وخمسمائة .

فيها اقبلت الفرنج في جحافل كثيرة إلى الديار المصرية وساعدهم المصريون فتصرفوا في بعض البلاد فبلغ ذلك أسد الدين شيركوه فاستأذن الملك نور الدين في العود إليها وكان كثير الحنق على الوزير شاور فأذن له فصار إليها في ربيع الآخر ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد وقع في النفوس أنه سيملك الديار المصرية وفي ذلك يقول عرقلة المسمى بحسان الشاعر ... والأتراك قد أزمعت ... مصر إلى حرب الأعراب ... رب كما ملكها يوسف ... الصدي من أولاد يعقوب فملكها في عصرنا يوسف ... الصادق من أولاد أيوب ... من لم يزل ضراب هام العدا ... حقا وضراب العراقيب

ولما بلغ الوزير شاور قدوم أسد الدين والجيش معه بعث إلى الفرنج فجاءوا من كل فج إليه وبلغ أسد الدين ذلك من شأنهم وإنما معه ألفا فارس فاستشار من معه من الأمراء فكلهم أشار عليه بالرجوع إلى نور الدين لكثرة الفرنج إلا اميرا واحدا يقال له شرف الدين برغش فإنه قال من خلف القتل والأسر فليقعد في بيته عند زوجته ومن أكل أموال الناس فلا يسلم بلادهم إلى العدو وقال مثل ذلك ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب فعزم أن لهم فساروا نحو الفرنج فاقتتلوا هم وإياهم قتالا عظيما فقتلوا من الفرنج مقتلة عظيمة وهزموهم ثم قتلوا منهم خلقا لا يعلمهم إلا أن D و الحمد .

فتح الأسكندرية على يدي أسد الدين شيركوه ثم أشار أسد الدين بالمشير [إلى الإسكندرية] فملكها وجبني أموالها واستناب عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف وعاد إلى الصعيد فملكه وجمع منه أموالا جزية جدا ثم إن الفرنج